هوامش

من خلال تراجع مياه نهر دنيستر، تكون مولدوفا جارة أوكرانيا قد تضرّرت من جرّاء الحرب القائمة في الأخيرة منذ فبراير/ شباط 2022. تُضاف إلى ذلك أزمة المناخ التي تشتدّ أخيراً

رحلة سياحية في نهر دنيستر في مولدوفا (انطون بولياكوف/ Getty)

نهر دنيستر

ضحية حرب أوكرانيا والاحتباس الحراري في مولدوفا

موسكو ـ **رامي القليوبي**

لم يسلم نهر دنيستر، الذي يُعَدّ أهمّ أنهر مولدوفا ومصدراً لمياه الشرب والريّ لسكانها ومزروعاتها، من تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية التي أدّت إلى تراجع القسم المولدوفي منه على أثر زيادة كميّات المياه المحوّلة إلى المحطات الكهرومائية الأوكرانية، من أجل حلّ أزمة نقص الكهرباء بعد الضربات التي استهدفت مرافق طاقة أوكرانية. وعلى الرغم من أنّ تحويل كميات هائلة من المياه أدّى إلى فيضانات، منذ منتصف إبريل/ نيسان حتى بداية مايو/ أيار الماضيَين، فإنّ الأمر سرعان ما تحوّل إلى تراجع للمياه بحلول نهاية مايو/ أيار الماضي، من جرّاء نقص المياه في البحيرات الصناعية الأوكرانية. ويأتي ذلك إلى جانب تفاقم ظاهرة الاحتباس الحراري في السنوات الأخيرة. وهكذا، بدأ نهر دنيستر بالتراجع، هو الذي ينبع من منطقة الكاربات الأوكرانية ويمتدّ على نحو ألفٍ و350 كيلومتراً، ويعبر مولدوفا وإقليم ترانسنيتريا الموالي لروسيا المشتقّ اسمه من اسم النهر ويصبّ في البحر الأسود، علماً أنّ تسجيلات فيديو تنتشر وتُظهر جفاف مجرى النهر ورِوافده. دفع هذا الوضع علماء البيئة إلى دقّ ناقوس الخطر، فانخفاض منسوب مياه نهر دنيستر يسبّب اضطرابات في إمدادات مياه الشرب تطاول عشرة ملايين شخص في مولدوفا ورومانيا وأوكرانيا. ويعيد مدير منظمة «إيكو-تيراس» غير الحكومية إيليا ترومبيتسكي، المعني بقضايا دنيستر في مولدوفا، تراجع نهر دنيستر إلى زيادة استهلاك مياهه في بحيرة دنيستر الصناعية في أوكرانيا، متوقّعاً في الوقت نفسه تحسّناً للوضع في حال تساقط أمطار غزيرة أعلى مجرى النهر. ويقول ترومبيتسكي الذي يحمل شهادة دكتوراه في علم الأحياء لـ«العربي الجديد» إنّ «تراجع نهر دنيستر يعود إلى الاستهلاك المفرط لمياه بحيرة دنيستر الصناعية في ربيع هذا العام، من أجل تلبية احتياجات الطاقة الكهرومائية في أوكرانيا»، وذلك «وسط تدمير حيّز كبير من القدرة الإنتاجية للطاقة». وحول تأثير هذا الوضع على المنظومة المائية في مولدوفا، يفيد بأنّ «حتى الآن، لا تعاني مولدوفا نقص المياه، لكنّ ذلك قد يحدث بحلول نهاية فصل الصيف أو في الخريف المقبل ما لم تملأ الأمطار خزّان دنيستر».

وفي ما يتعلق بحلّ أزمة مياه دنيستر، يوضح ترومبيتسكي أنّ «المحادثات بين مولدوفا وأوكرانيا أتاحت تنسيق الأعمال في ما يخصّ دنيستر، لذلك من المنتظر أن يتحسّن الوضع في حال تساقطت أمطار. لكنّ السبب الجوهري للتغيّرات التي حدثت يعود إلى العدوان الروسي على أوكرانيا. لذلك يمكن لوقف العدوان أن يزيل أسباب نقص الطاقة». وعلى الرغم من ذلك، يقرّ ترومبيتسكي بأنّ الحرب الروسية في أوكرانيا ليست السبب الوحيد لتراجع دنيستر، مبيّناً أنّ «الإحصاءات تظهر أنّ التدفّق السنوي للنهر تراجع في السنوات السابقة بمقدار نحو كيلومترَين مكعّبَين، نحو كيلومتر مكعّب منها من جرّاء الوضع الراهن وكيلومتر مكعّب آخر نتيجة للاحتباس الحراري». في سياق متصل، يلفت ترومبيتسكي إلى ارتفاع حصّة مناطق أعلى المجرى من النسبة التي تتراوح ما بين 60 و70% إلى 80% في الوقت الراهن، لتصير مناطق أسفل المجرى مثل مولدوفا ومدينة أوديسا الأوكرانية الأكثر عرضة لنقص المياه في فصل الصيف نتيجة تراجع معدّلات الأمطار. وفي موسكو، يجزم الخبير الصناعي والاقتصادي المستقل، ليونيد خازانوف، بأنّ تراجع نخر دنيستر ناجم عن تحويل كميات هائلة من المياه إلى البحيرات الصناعية الأوكرانية، مشيراً إلى أنّ حفر الآبار قد يمثّل بديلاً ولو جزئياً لتوفير المياه لسكان المناطق المتضرّرة. ويشرح خازانوف لـ«العربي الجديد»: «قد يكون تراجع دنيستر بصورة حادة ناجماً عن إلقاء المحطات الكهرومائية الأوكرانية كميات فائقة من المياه بهدف تحقيق أعلى معدّل إشغال وتلبية احتياجات البلاد من الكهرباء. لكنّ هذه الأعمال قد تؤدّي إلى كارثة بيئية في المناطق الأوكرانية والمولدوفية المتاخمة لنهر دنيستر».

وعن رؤيته لحلّ أزمة نقص مياه الشرب في حال وقعت، يقول خازانوف إنّ «ثمّة مخرجين من الوضع الراهن، إمّا توقّف المحطات الكهرومائية الأوكرانية عن مثل هذه الممارسات وهو أمر غير مرجّح، وإمّا حفر آبار لاستخراج مياه جوفية صالحة للشرب. لكنّ العملية الأخيرة قد تستغرق وقتاً طويلاً من دون ضمان أنّ المياه سوف تكفي الجميع». بموازاة ذلك، أسفر تراجع نهر دنيستر عن اكتشافات أثرية، من بينها جسر شيّده مهندسون ألمان بالقرب من قرية ليبي في مقاطعة خميلنيتسك الأوكرانية فوق نهر أوشيتسا الذي يُعَدّ واحداً من روافد دنيستر اليسرى. وقد غمرت المياه هذا الجسر في ثمانينيات القرن الماضي، في أثناء بناء محطة دنيستر الكهرومائية. وعلى مدى عقود عدّة، كانت مشاهدة الجسر حكراً على الغوّاصين، أمّا اليوم فبإمكان المهتمّين مشاهدته والتجوّل عليه، وسط انبهار زائريه إزاء حالته الجيّدة على الرغم من بقائه تحت المياه لمدّة طويلة.

باختصار

ينبع نهر دنيستر من منطقة الكاربات الأوكرانية ويمتدّ على نحو ألفٍ و350 كيلومتراً ويعبر مولدوفا وإقليم ترانسنيتريا الموالي لروسيا

■■■

يسبّب انخفاض منسوب مياه دنيستر اضطرابات في إمدادات مياه الشرب، تطاول عشرة ملايين شخص في مولدوفا ورومانيا وأوكرانيا

■■■

أسفر تراجع نهر دنيستر عن اكتشافات أثرية، من بينها جسر غمرته المياه في الثمانينيات

وأخيراً

صَفْعة عمرو دياب... لمن؟

نجوى بركات

كلمة واحدة باتت تكفي للإشارة إلى ما جرى ما بين النجم عمرو دياب وأحد المعجبين به؛ «الصَفْعَة»، وقد احتلّت عناوين الأخبار في القنوات التلفزيونية والمجلّات والسوشيال ميديا، وكثرت التعليقات بشأن كيفية تحديد مسؤولية سوء التصرّف إياه؛ أهي عائدة إلى النجم المتعالي ضيّق الخُلق، كما قيل عنه، أم إلى المعجب الوقح قليل اللياقة؟

وربّما كان السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يُقدِم شخصٌ بالغ وسويّ على إذلال نفسه أو تعريضها لسوء معاملة، من أجل الحصول على توقيع نجمٍ محبوب، أو التقاط صورة سيلفي معه؟ هل هو الإعجاب فعلاً دافع هذا السلوك، أم هي رغبة المعجب بوضع نفسه في إطار مشترك مع نجمه لامتصاص القليل من بريق السطوة والشهرة، أو ربّما، حتّى الاحتفاظ بذكرى «إنجاز» حقّقه ببلوغ جسد الفنّان؛ ملامسته أو مجاورته لثوانٍ؟... من يُعرفون عالمياً باسم «فانز» باتوا يُدركون أهمّيتهم بالنسبة لمعشوقيهم، ودورهم الأساس في رواج منتَجه؛ شرائه واستهلاكه، وتحقيق أرقام مبيعات أو مشاهدات مرتفعة هي قرين النجاح.

ولهذا، باتوا يسمحون لأنفسهم بتقصير مسافةٍ كانت فيما مضى شاسعة عصيّة على الاجتياز، إذ راحوا يشعرون، هم أيضاً، بسطوة ما بات يُجيزها لهم عصر العولمة. فمن تراه كان يحلم بالاقتراب من ليلى مراد أو فاتن حمامة أو شادية أو عبد الحليم حافظ... ومن كان يقبل في تلك الأيام أن يُنزل النجم من عليائه إلى الأرض ويتصرّف كعامّة البشر الاعتياديين؟ النجم كان أسطورة، أمّا اليوم فهو مادّة، وإن مُميّزة واستثنائية، للاستهلاك (!)

وبالفعل، اشتقاقياً، تعود كلمة «فان» (Fan) إلى القاموس الأنجلو – أميركي، وهي اختصار لمفردة «fanatique» العائدة بدورها إلى أصل لاتيني هو فانوم (Fanum)، أي المعبد، ويشير إلى شخص يرى نفسه مُلهماً من الآلهة، ما يربطه بشيء من التعبّد الديني، حتّى في مجتمعات غربية تراجعت فيها مكانة الدين. وقد تتلخّص النظرة السلبية إلى جحافل المعجبين التي سادت في مرحلة ما، إلى عالم الاجتماع الفرنسي الشهير بيار بورديو، في كتابه «التمييز: نقد اجتماعي لحكم الذوق» (1979)، إذ درس جماهير المعجبين، الذين اعتبرهم مثالاً للجماهير المهيمنة التي تُقارب الثقافة من دون المهارات اللازمة، في حين تسعى إلى التمايز من غير امتلاك الوسائل، فالمعجب أو «الفان»، بحسب بورديو، هو الشخص الذي يتعامل مع «الأشياء غير المهمة كما لو كانت أعمالاً فنية»، وينتمي إلى البرجوازية الصغيرة والطبقات العاملة، لا إلى الطبقات الحاكمة. وفي حين يعتقد أنّه يحبّ منتجاً ثقافياً، فهو يرضخ في الواقع للقيم والتراتبية الهرمية المفروضة عليه، من دون أن يعرف أن حبّه هذا هو عملياً التعبير عن اغترابه. اليوم، تراجعت تلك النظريات الحتمية، وقد أُخضعت جماهير المعجبين لدراسات تجريبية عديدة أظهرت أنّ أنواعاً مختلفة من رأس المال الثقافي يمكن أن تتعايش معاً، وأنّ كون الفرد معجباً بفنّان ما لا يمنعه من تقدير أشكال أخرى من الثقافة الشرعية، مع الإشارة إلى وجود حدود، بالطبع، بين الطبقات الاجتماعية في طرق الاستهلاك، أو في المواقف تجاه المنتجات الثقافية المختلفة. لقد عرف المشهد الثقافي عالمياً تحوّلات كبرى مع المكانة المركزية، التي احتلّها التلفزيون، وانتشار الإنترنت، وبروز الصناعات الثقافية، ما أدّى إلى تهجن الثقافات وامتلاك الفرد أنواعاً مختلفة من رأس المال الثقافي، فأمكن للمثقّف والموظّف والمتعلّم والعامل أن يُعجبوا بالفنّان نفسه. هذا، وقد أصابت أساليبَ إنتاج السلع الثقافية وتوزيعها وتكريسها تغيّراتٌ مهمّة مع العولمة الاقتصادية، وسهولة الوصول التي تتيحها وسائل الاتّصال الجديدة، تضاف إليها سياسات المؤسّسات والشركات الثقافية، التي فرضت تسويقاً واسع النطاق، ما فرض بدوره ارتباطاً وثيقاً بين فرادة العمل الفني أو قيمته من جهة، وبين شخصية الفنّان، سمعته أو صورته الإعلامية من جهة أخرى، وذلك، بغضّ النظر عن القيمة الفنّية الفعلية للمنتج. وعليه، أيكون من المعقول أن تكون صفعةُ عمرو دياب موجّهة في النتيجة لفنّه، أكثر ممّا هي موجّهة لمعجبه الثقيل؟

> أيكون من المعقول أن تكون صفعةُ عمرو دياب موجّهة في النتيجة لفنّه، أكثر ممّا هي موجّهة لمعجبه الثقيل؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**